فن الزخرفة في المخطوطات الاسلامية دراسة تطبيقية على بعض المخطوطات التاريخية

أ.م.د. أحمد كريم محمد حبيب

كلية العلوم الاسلامية-جامعة ديالى

الكلمات المفتاحية: المخطوطات. الزخرفة. التاريخ

الملخص:

تعد الزخرفة عنصرا أساسيا في المخطوطات الاسلامية عامة والتاريخية خاصة فقد اهتم العلماء والنساخ قديما في زخرفة المخطوطات وقد وظفوها لإضفاء الجمال والروعة في المصاحف والمخطوطات واول ما استخدمت في المصاحف فقد زينت المصاحف بزخرفة جميلة جدا وقد اخذت اشكال متنوعة وهي تعبر عن القيم الدينية والثقافية للمسلمين وكذلك ساهمت هذه الزخارف في اظهار مهارة الخطاط العربي آنذاك فقد بينت جمالية النص المخطوط وكانت على انواع واشكال مختلفة وكلاً منها استخدم في مكان محدد ومخطوط معين ومن انواعها كالزخارف الهندسية ويعتمد هذا النوع على الاشكال الهندسية المنتظمة مثل المربعات، والمثلثات والاشكال النجمية وتتكرر هذه الاشكال في تكوين الاشكال الزخرفية، ومثال على ذلك المصحف الشريف المحفوظ في متحف الفن الاسلامي في القاهرة ما لاحظناه من زخرفة هندسية متقنة في صفحات مختلفة من المصحف، والزخارف النباتية ويستمد هذا النوع من الزخارف من أوراق الاشجار والنباتات وتصمم بأشكال متنوعة واقعية، ومثال على ذلك الزخارف النباتية الموجودة على مخطوط كتاب الاغاني لأبي فرج الاصفهاني المحفوظ في دار الكتب المصرية فقد يزخر هذا المخطوط بالزخارف النباتية الملونة والتي تضفي عليه جمالا فريداً والزخارف الحيوانية والتي تصور الحيوانات المختلفة وتستخدم بشكل محدد في المخطوطات الاسلامية والزخارف الكتابية فقد ابدع الفنان المسلم في زخرفة المصاحف والمخطوطات ان جميع هذه الزخارف قد بينت لنا براعة العلماء والخطاطين في تزين صفحات المصاحف والمخطوطات الاسلامية.

المقدمة :

تعد الزخرفة في المخطوطات الاسلامية من أبرز وأعمق التعبيرات الفنية التي أفرزتها الحضارة الإسلامية إذ تجمع بين الروحانية والجمالية في سياق ديني وثقافي متفرد بما تحوية من نصوص مقدسة وتعاليم دينية تحتاج الى تجسيد بديع يعكس قدسية النصوص وجماليتها لذا اهتم الفنانون المسلمون بتطوير اساليب زخرفية تعزز من قيمة النصوص وتضفي عليها لمسة جمالية راقية لذا تبرز دراسة الزخرفة في المخطوطات الاسلامية كأداة لفهم عميق للتطورات الفنية والثقافية في العالم الاسلامي فكل مخطوط هو ليس وعاء للنصوص بل هو عمل فني متكامل يروي قصة التجليات الجمالية والتقنيات الزخرفية التي تطورت على مر العصور.

بينت هذه الدراسة أهمية الزخارف في المخطوطات الاسلامية والتاريخية على وجه الخصوص وتحليل الانماط الزخرفية التي تميزها وكيفية استخدامها في تعزيز النصوص المكتوبة لتقديم رؤيه اعمق لتأثير الفن الزخرفي على المخطوطات الاسلامي وبيان الدور الذي تقدمة هذه الزخارف في جمالية النص المخطوط .

كذلك بين في هذا البحث مدى تطور الاساليب الزخرفية على مر العصور من الانماط النباتية الى الهندسية مرورا بالخط العربي المزخرف وهذه الزخارف تقدم لنا نموذج للفنانين المسلمين وتطوراتهم التقنية فكل فترة زمنية وجغرافية اضافت بصمتها الخاصة على اساليب الزخرفة مما يعكس التنوع الثقافي والابتكاري في الحضارة الاسلامية .

تعد هذه الزخارف مصدرا للتوثيق التاريخي والثقافي من خلال دراسة انماط الزخرفة واستخداماتها ومن خلالها يمكن للباحثين والمهتمين بالمخطوطات التعرف على التطورات التاريخية والثقافية التي اثرت على الفنون الاسلامية مما يؤثر رؤى حول حياة واذواق الشعوب الاسلامية عبر الزمن وهذه الزخارف ليس مجرد زينه فهي عنصر مهم واساسي في فهم وتعزيز قيمة المخطوطات كموروث فني وثقافي وديني فقد بينا انواع الزخارف واستخداماتها في المخطوطات وذكرنا نماذج مهمه عن هذه الانواع من الزخارف كذلك فصلنا اهم اشكال الزخارف النباتية والهندسية فكل واحد منها له اشكال واحجام مختلفة داخل النص المخطوط .

ان قيمة الزخارف داخل النص المخطوط هي من دفعت الباحث للبحث والتفتيش عن فن الزخرفة في المخطوطات الاسلامية مما له من اهمية كبيرة في المخطوطات فقد تحدد الكثير من الامور التي يصعب على الباحثين ايجادها مثل عمر المخطوط، وتاريخ نسخه، وكذلك عنوان المخطوط، ومؤلف المخطوط وهذه عناصر مهمه لا يمكن للمخطوط ان يحقق الا بمعرفة هذه العناصر لذى تعد الزخرفة عنصرا اساسيا في معرفة هذه العناصر .

اهمية فن الزخرفة في المخطوطات الاسلامية

ان الفنون الزخرفية لعبت دور كبير في تزين المخطوطات بصورة عامة والمصحف الشريف بصورة خاصة فقد كانت على اشكال واحجام مختلفة في بعض المخطوطات لكن ليس من اليسير تحديد تاريخ دقيق لظهور الزخرفة على صفحات المصاحف ولكن المتفق عليه بين العلماء ان المصاحف التي كتبت على عهد الخليفتين ابي بكر وعثمان رضي الله عنهما كانت خالية من اية اضافة الى نص القرآن الكريم فصارت تلك المصاحف مرجعا رسميا لنسخ المصاحف عند المسلمين خلال القرن الاول الهجري على اقل تقدير وعلى هذا الاساس سار الفقهاء يحتجون بشدة على اي ظاهرة لإدخال او اضافة شيء على القرآن لأنه يعد خروجا عن السنة فكانوا ينادون جردوا القرآن ولا تخلطوا شيء ليس منه ويمكن القول ان اقدم الزخارف القرآنية هي تلك النقاط السوداء الثلاثة التي كانت توضع للفصل بين آيات القرآن الكريم على الرغم من الجدل الطويل الذي جرى بين فقهاء القرن الاول الهجري حول مسألة اقرار تلك النقاط او رفضها ثم اختلفت اشكال تلك الفواصل فيما بعد فتصبح على صورة خطيطات رفيعة او نقاط اكثر عددا مكونه شكلا مثلثا او على شكل وريدات صغيرة وجدت تزين الكثير من الصفحات القرآنية اما فواصل السور فكانت اول الامر في شكل خطوط مستقيمة او منكسرة او بصورة حلقات مكررة غير منتظمة ولم يكن الهدف من وجودها لأغراض جمالية بل كان القصد منها هو التنبيه على انتهاء سورة وابتداء اخرى ويمكن ملاحظة ذلك في ما وصل الينا من اوراق قرآنية مكتوبة بخط مائل من المرجح انها ترتقي الى القرن الهجري الاول [1] اذن فالقرآن الكريم هو الميدان الرحب لفن الزخرفة العربية الاسلامية .

ان الزخرفة هي الزينة البسيطة والاساس الاول في جمال المخطوطات العربية. فقد رأى التجريب المتواصل والنضج في التلقي لدى أولئك الذين كرسوا أنفسهم لنسخ كتاب الله إلى

البحث عن ترسيخ العنصر الجمالي المناسب للقرآن الكريم. وبذلك بدأت مرحلة كتابة أسماء السور داخل أشرطة مزخرفة بدقة وتعقيد إلى حد ما. في بعض الأحيان، كانت هذه الزخارف تشبه تلك التي نجدها في المنسوجات العائدة للقرن نفسه الذي ينتمي إليه المخطوط، بالاضافة الى احتوائها على رسوم نباتية طبيعية[2] ان الاهتمام بزخرفة المخطوطات العربية انتقلت من القرآن الكريم الى الكتب الأخرى، وكانت البداية في هذا المجال متواضعة وضعيفة، حيث كانت الزخارف تظهر في نهاية الفصول كفواصل زخرفية بسيطة مثل صف من النقاط أو شريط رقيق يحتوي على خط أو بعض الخطوط المتعرجة. ومع مرور الوقت، تطور هذا النمط ليشمل زخرفة صفحات كاملة بزخارف هندسية ونباتية، وكذلك تزيين الصفحات الأولى من المخطوط باطارات مزخرفة لا تقتصر على الجداول والمستطيلات التي تحيط بالمساحة المكتوبة، بل تجاوزت ذلك لتزيين بعض الصفحات بشريط من الكتابة الزخرفية الجميلة [3] وقد قسمت الزخارف الى اربعة اقسام وكل قسم منها كان له استخدم معين في المخطوطات العربية

اولاً : الزخارف الهندسية :

استخدام الانسان الزخرفة الهندسة عبر مختلف الحضارات منذ العصر الحجري وحتى الوقت الحاضر. ويمكن تفسير اهتمامه بهذه الزخارف لسببين رئيسيين: الاول هو ميله الفطري نحو التجريد، والثاني هو التأثير الذي تفرضه المواد والأدوات المستخدمة اثناء عملية الإنتاج. وبذلك يمكن القون ان نشأة الزخارف الهندسية كانت نتيجة غير ارادية اكثر منها مقصودة. وقد اكتسبت الزخارف الهندسية اهمية استثنائية لم تشهدها اي حضارة اخرى، حيث اصبحت العنصر الاساسي الذي يغطي مساحات كبيرة، ولعب الخط الهندسي فيها دورا مشابها لدور الخط المنحني في الزخرفة العربية ((الارابيسك))[4].

كان اهتمام الفنان المسلم بالزخرفة الهندسية ينصب على ابتكار تكوينات جديدة لهذا النوع من الزخرفة بهدف تحقيق جمال اضافي في التحف التي ينتجها. ومن الامثلة على هذه الاشكال الهندسية: الدوائر المتماسة والمتجاورة، والجدائل، والخطوط المتكسرة والمتشابكة، بالاضافة الى الاشكال الهندسية مثل المثلث، والمربع، والمخمس، والمسدس، والمعين. وعلى الرغم من التعقيد الظاهري في رسم هذه الزخارف، الا انها تعتمد في الحقيقة على اصول وقواعد بسيطة، من بينها تقسيم المحيط الى اجزاء متساوية ثم توصيل النقاط بعضها

ببعض للحصول على أشكال هندسية متنوعة، وهذا يشير الى اهتمام المسلمين بعلم الهندسة من الناحيتين التطبيقية والنظرية. ومن ابرز انواع الزخارف الاسلامية الاشكال النجمية متعددة الاوضاع، التي تشكل ما يعرف بالاطباق النجمية. وقد انتشر هذا النوع من الزخارف في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، وفي العراق في العصر السلجوقي، ثم امتد الى بلاد المغرب العربي، حيث استخدم في زخارف التحف الخشبية والمعدنية، وفي تذهيب صفحات المصاحف والكتب، وفي زخارف السقوف. وهذا يعزز فكرة الوحدة الفنية التي استمرت في فنون مصر منذ اقدم عصورها الى الان. ومن المهم التفريق بين الزخارف الهندسية التي تعتمد على الأشكال الهندسية وبين الاسلوب الهندسي في التعبير الفني، حيث يشير الاسلوب الهندسي الى انتاج صور للظواهر الطبيعية باسلوب هندسي، وفقا لتعريف هربرت، مقابل الفن العضوي [5].

ففي العصر الاسلامي اصبحت الرسوم الهندسية ترسم لذاتها واصبحت عنصرا أساسيا من عناصر الزخرفة له طابع خاص اساسه اقبال المسلمين على التصرف والابداع في هذه الرسوم الهندسية ومن الزخارف الهندسية التي استخدمها المسلمون في عمائرهم وعلى تحفهم رسوم هندسية كان لها شأن في الزخارف الساسانية والبيزنطينية [6].

يبدو لي ان الزخارف الهندسية كانت معروفة منذ العصور القديمة وقد استخدمت قبل قيام الفن الاسلامي بوجه عام ولكنها لم يكن لها الشأن الذي اصبح لها الأ على يد المسلمين فقد استخدموها في الغالب كاطارات لغيرها من الزخارف الرئيسية، اما في العصر الاسلامي فقد اصبحت ترسم لذاتها واصبحت عنصرا اساسيا من عناصر الزخرفة له طابع خاص اساسة اقبال المسلمين على التصرف والابداع في هذه الرسوم الهندسية (ينظر شكل 1) وهو صورة من مخطوط الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، المتوفى سنة 544هـ، والمحفوظة بالمكتبة برقم (3146) وهي بالسيرة النبوية وناسخها عبده محمد بن موسى بن رضوان الشافعي الأزهري، وتاريخ نسخها سنة 1229هـ وهي نصف بخارية مفصصه وملونه بألوان داكنة في داخلها زهور رباعية البتلات بلون احمر باهت وأوراقها زيتيه مؤطرة بشريط ذي زخرفة هندسية (خط مائل واخرة نقطة) باللون الاحمر واطار اخر ازرق وعليه نقط عريضة زيتيه، يعلوها نقوش نباتية حمراء اللون تشبه سنابل القمح، وأسفل نصف البخارية مستطيل ملون بجانبه ورقات حمراء وخضراء.

أشكال الزخارف الهندسية :

- البخاريات : هي اكثر الزخارف انتشارا في المخطوطات وهي وحدة زخرفية ذات شكل دائري يتصل بأعلاها وأسفلها خليتان متشابهتان وتستعمل البخاريات في تزيين صفحات المخطوط وتأخذ أحيانا شكلا يشبه القبة وتنوعت اشكالها وانواعها والإطار المحيط بها ويرجع ذلك لقيمة المخطوطة وتطور وتغير الزخرفة من عصر الى اخر ومكانة المخطوط من علوم عصرة والقبة ترمز الى السماء وما يليها من عالم روحاني [7] .
- الشمسة : هي ميدالية مستديرة الشكل تظهر في مجموعات من الأبسطة، ويطلق على أرباعها في أركان البساط اسم ربع شمسة وفي المخطوطات هي صيغة زخرفية مدورة إشعاعية على شكل شمس، أو شكل نجمة متعددة الأضلاع والرؤوس وفي المصطلح الأثري هي : حلية نحاسية دائرية مخرمة تشبه الشمس نت إبداع الفنان المسلم، وقد نتجت بسبب بعدة عن تمثيل الطبيعة وتعد الأشكال النجمية عملا فلسفيا يحمل طابعا فنيا [8] وثمرة تفكير رياضي قائم على الحساب الدقيق وهي ليست مجرد زخارف عفوية بل الفنان يسترسل في تشكيلاته مستمرا مع لعبة الخط، ومستفيدا من تشكيلات الفرجار[9]، وجميع الأشكال النجمية مكونة من الخط بأنواعه والزوايا المختلفة وتتكون بتكرار الزوايا وتوالد الأشكال بعضها من بعض ويمكن اعتبار الأشكال النجمية زخارف إشعاعية تصدر من نقطة مركزية، وإن تحرك النقطة في خط مستقيم أو خط منحن هو الذي يفجر العملية الفنية كما تصدر هذه الزخرفة الاشعاعية من نقطة مركزية واحدة؛ فهي تتجه ايضا صوب مركز واحد معبرة في ذلك عن فكرة التوحيد فالإله الواحد هو الذي يصدر عنه كل شيء وإليه يعود كل شيء كما ان الترابط والتشابك بين الخطوط الدائرة حول مركز واحد إنما هو تعبير عن وحدة الخالق والكون والحياة بكل ما تحويه من تقارب وتباعد وذهاب وإياب وعند الانتهاء من رسم الوحدة الزخرفية يمحى المركز فلا يبقى له أثر مادي ملموس، وان كانت الخطوط تدور من حوله مؤكدة وجوده، ولعل في ذلك إسقاطا لفكرة المتصوفة المسلمين عن الإله الموجود وغير الموجود الحاضر بآثاره ودلائل عظمته الغائب ماديا وحسيا بالنسبة لإدراك الإنسان [10]
- الجداول : عند الاطلاع في المخطوطات المختارة نلحظ عددا منها يحتوي على أطار واحد يحيط بالنص أو جداول مزدوجة، وقد تكون في بداية المخطوط، وخاصة في الصفحة

الأولى والثانية، أو في نهاية المخطوط، وبعض المخطوطات أحيطت كامل نصوصها بإطار واحد أو جداول مزدوجة [11]

- المستطيلات : يمكن تقسيم المستطيلات التي جاءت في بداية بعض المخطوطات الى مستطيلات منفردة في صفحة العنوان أو بداية الفصول والأبواب تسجل فيها عبارة " بسم الله الرحمن الرحيم" أو إشارة لبداية مجلد جديد أو عنوان الباب، فيكتب فيها رقم المجلد في المخطوط، ومستطيلات تأتي أسفل البخاريات ملونة أو مذهبة [12]
- الدوائر : جمعها دوائر، وهي إحدى الاشكال الهندسية التي استخدمت في المخطوطات العربية من قبل النساخ والوراقين والمزوقين وهي ذات أشكال متعددة ومتنوعة وأحجام مختلفة، وبالنظر في الدوائر المستخدمة منذ القرون الهجرية الأولى نجد أنها نفذت للشرح والتوضيح وبعضها يهدف الى الفصل بين الآيات القرآنية والبعض الأخر للفصل بين شطري الأبيات الشعرية، أو للوقوف عند نهايات الجمل والعبارات كعلامات الترقيم وبعضها استخدم لإبراز العنوان أو اسم المؤلف، وبعضها استخدم من باب الزخرفة وبخاصة في الحواشي والبعض منها متعرج الأطراف وتشبه تلك التي في المصاحف وقد وجدت الدوائر في صفحة العنوان وبين ثناياه وقد تاتي في نهاية المخطوط [13] .
- المثلثات : توجد المثلثات في بداية بعض المخطوطات أو نهايتها وهي على شكل مثلث مقلوب أطلق عليه اسم حرد المتن وغالبا ما تكون مثلثات ذات زوايا حادة ومقلوبة يذكر فيه عنوان الكتاب واسم المؤلف وحرد المتن يفيد بانتهاء المخطوط وخاتمته حيث نجد فيه بعض الاحيان معلومات مهمة مثل مكان النسخ، واسم الناسخ، وتاريخ النسخ، وبعض الكلمات أو العبارات الدالة على انتهاء النص [14] .

- الأطر: هو كل ما احاط بالشيء من الخارج ومنه إطار الصورة والعجلة والدف والباب [15] وفي مصطلح اخر عرف إطار المساحة المكتوبة بمجموعة الخطوط الأربعة التي تحد المساحة المكتوبة في كل واحدة من جهات المخطوط والاطار ايضا هو الحد الخارجي سواء كان هذا الحد يؤطر تصويرة أو حتى شريط أو حاشية ، بينما الشريط هو عبارة عن إطار واسع او بالأحرى مساحة واسعة نسبيا تحيط بالتصويرة وتشغل بعناصر زخرفية مختلفة أو تترك خالية من الزخرفة وفي الفنون الزخرفية فإن كل خطين متوازيين أو حافتين

متوازيتين بينهما مساحة ممتدة هي شريط وهذه المساحة الممتدة يشغلها عناصر زخرفية مختلفة غالبا تكون عبارة عن رسومات نباتية وزهرية بألوان متعددة والملحوظ تعدد الأطر وتنوع زخرفتها؛ فأحيانا نجدها أطرا رفيعة، وأخرى عريضة تشغلها بعض الزخارف النباتية ولا شك أنها عنصر فني هام أثر على الشكل النهائي للمخطوط [16] .

ثانيا: الزخارف النباتية :

لقد حبب الاسلام الفنانين ان يستخدموا الزخارف النباتية فقد روى عن البخاري بسنده عن سعيد بن ابي الحسن حديثا جاء فيه " كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما اذ اتاه رجل فقال يا أبن عباس اني أنسان أنما اعيش من صنعة يدي وأني أصنع هذه التصاوير فقال ابن عباس لا أحدثك الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سمعته يقول من صور صورة فأنه الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ابدآ، فربى الرجل ربوه وأصفر وجهه فقال ابن عباس ويحك! ان أبيت الا ان تصنع فعليك بهذا الشجر، وكل شيء ليس فيه روح" [17]، يتضح من هذا الحديث النبوي الشريف انه يوجه الفنان المسلم الى العناية برسم الشجر، او بمعنى اصح رسم الزخارف النباتية بالإضافة الى ان يعنى برسم ما ليس فيه روح او بعبارة اخرة برسم الزخارف الهندسية والمناظر الطبيعية .

من خلال هذه الاحاديث النبوية والإرشادات اصبح للفن الاسلامي طابع خاص يمتاز به عن الفنون الاخرى، فالزخارف النباتية قد وصلت الى مراحل متقدمة من الجمال الفني والأبداع على يد الفنان المسلم وأبتكر فيها صورة جديدة لم تكن معروفة من قبل وهي الأرابيسك [18] نسبه للعرب وتسمى الوحدة الرئيسية في هذه الزخرفة احيانا نصف مروحة نخيلية وكانت هذه الزخرفة النباتية تتألف من عناصر زخرفية مكونة من افرع نباتية محورة عن الطبيعة وأوراق نباتية ذات فصين تتداخل او تتشابك معآ بطريقة هندسية جميلة [19] وقد ظهرت شخصية الزخارف النباتية المجردة في العصر العباسي وخاصة في مدينة سامراء وقد انتشر هذا الضرب من الزخارف النباتية المجردة في مصر في العصر الطولوني، وفي ايران كما نراها في جامع نايين[20] وقد ظل اسلوب الزخارف النباتية يتطور الى ان وصل اقصى ازدهاره في القرن الثالث عشر، وقد انتشر هذا النوع من الزخارف في التحف المختلفة سواء كانت مصنوعة من الخشب او الزجاج، او الخزف ، كما استعملت في الصفحات المذهبة من الكتب ويختلف الاهتمام بهذا النوع من الزخارف القريبة من الطبيعة بين الاقاليم الاسلامية

المختلفة، فيزداد الاهتمام بها في ايران وتركيا وبخاصة منذ اواخر القرن الثالث عشر بسبب بعض التأثيرات المغولية والصينية وقد تسرب هذا التأثير الى مصر وسوريا [21] فظهر على بعض التحف كالمشكاوات الزجاجية [22] في العصر المملوكي، يتضح مما سبق ذكرة ان الزخارف النباتية كانت عنصرا مهم في المخطوطات بصورة عامة من خلال الاشكال التي استخدمت في المخطوطات (ينظر شكل 2) وهو صورة مخطوط محفوظ بالمكتبة برقم (1034) أرشاد الساري، للقسطلاني، المتوفى سنة 923هـ مؤرخ سنة 1174هـ وناسخها ابراهيم بن سالم بن محمد السبكي وقد زينت البخارية في فاتحة المخطوط بأفرع ذهبية كثيرة الاوراق الصغيرة ومتشابكة مع الفرع الذي يليها بوردة ذهبية متعددة البتلات واللون الاحمر في منتصفها على ارضية خضراء داكنة وتتداخل الورقات وتتشعع بدون ترك فراغات داخل البخارية .

السمة العامة للزخارف النباتية :

- تكثر في فواتح المخطوطات، وقد تأتي في نهايتها لتزيين حرد المتن .
- استعملت فيها عدة انواع من الزهور كزهرة القرنفل، وزهرة الرمان، بأشكالها المختلفة والوردات متعددة البتلات فمنها الرباعية، والخماسية، والسداسية البتلات.
- يقترن التذهيب غالبا بالزخاف النباتية يغلب على الزهور والوردات اللون الاحمر بلون واضح والابيض والذهبي والسيقان والافرع باللون الذهبي او الاخضر .
- يستعمل اللون الازرق بدرجاته الفاتح والداكن واللون الاسود في الارضية .
- تضيف منظرا جماليا على المخطوط لدرجة تشعرك بحيوية الالوان .
- تأتي داخل بخارية او مستطيل فلا تأتي الزخارف النباتية منفردة بل تصحبها إطارات هندسية .
- تأتي الورقة الرمحية المسننة بالمستطيل اسفل البخارية المزخرفة بالزخارف النباتية المحاكية للطبيعة [23]

ثالثاً : الزخارف الخطية :

تعد الزخارف الخطية أحد فنون الزخرفة الإسلامية، حيث لم يكن الهدف من الكتابات المميزة على المباني والتحف دائمًا تثبيت اسم صاحب العمل أو مؤسس البناء وتاريخه، أو التبرك بآيات قرآنية كريمة أو بعض العبارات الشائعة، بل استخدم الفنانون المسلمون الخط

العربي كعنصر أساسي من عناصر الزخرفة، فركزوا على رشاقة الحروف وتناسق أجزائها وزخرفتها بفروع نباتية ووريدات. وقد بدأ استخدام الزخارف الخطية في تزيين صفحات المصاحف منذ فترة مبكرة، حيث شملت زخرفة رؤوس السور والفواصل بين الآيات وعلامات الأحزاب والأجزاء.

ان اول ما زين به المصحف هو فاتحة القرآن الكريم وبداية سورة البقرة حيث كانتا مزدحمتان بالزخارف الخطية الجميلة وتلمعان بالألوان البراقة اما في المخطوطات غير القرآنية فكانت عناوين الكتب أو الأبواب أو الفصول هي التي يعني بزخرفتها وتلوينها فضلا عن توضيح المتن بالصور الصغيرة Miniafure painting التي امتازت برسمها ايران ، والهند، وتركيا [24] وقد دخلت الزخارف الخطية في منتجات الفنون الاسلامية بوصفها عنصرا زخرفيا إذ لاحظنا أنه بعض الأحيان كانت التحف تستمل على حروف وألفاظ عربية لا معنى لها واحيانا تصل الى درجة من الغموض بحيث تتعذر قراءتها وتفسيرها أي دورها زخرفي فقط كان الخط في كثير من الاحيان يمثل أهم العناصر في زخرفة الإنتاج الفني الإسلامي بل انه في بعض الأحيان كان العنصر الزخرفي الوحيد.

كان اهم ما يتميز به الانتاج الفني في صدر الاسلام عن الانتاج القديم في البلاد المفتوحة هو ما كان يزخرف ذلك الانتاج من كتابات عربية إذ يكاد الخط العربي في صدر الاسلام ان يكون هو الميزة الوحيدة العربية في الاعمال الفنية ويتجلى ذلك بشكل واضح في قطع النسيج المبكرة التي لم تكن تشتمل على اي مميزات عربية غير ما تشتمل عليه من أشرطة من الكتابة العربية، ان حروف الخط في الزخارف الخطية كان على اشكال مختلفة فمثلا اتخذ الخط نوع من النسيج ينسب الى الفيوم أشكالا تشبه الأشجار والأغصان، غير ان الخطاطين المسلمين لم يقفوا عند حد تجويد الخط وإيداع صوراً مختلفة له ولكنهم ابتكروا من الحروف والكلمات رسوماً زخرفية لها جمال فائق فجعلوا بعضها على صورة أشكال آدمية أو صور طيور، وبعضها على هيئة أواني أو فاكهة أو على هيئة شكل العمائر وهكذا[25] يتضح لنا ان الزخارف الخطية كان استخدامها لا يقتصر على صفحات القرآن الكريم فقط بل كانت مستخدمة على التحف والعمائر والأبنية أذن فهي لا تقل اهمية عن باقي الزخارف الإسلامية وهناك الكثير من الاشكال التي تبين وتوضح لنا استخداماتها (ينظر شكل3) يمثل

قبر من الحجر مكتوب عليه بالزخارف الخطية مؤرخ سنة 31هـ والمحفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة .

رابعاً: الزخارف الحيوانية :

ان الفنان المسلم لم يتجه الى محاكاة اشياء الطبيعة وانه كان يرسم الكائنات الحية وكيفها ويحورها بحيث يحقق اغراضه الجمالية البحتة واقبل المسلمون على استعمال الاشكال الحيوانية في زخارفهم اقبالآ شديدا حتى ضن انها لم تكن داخلة في نطاق الكراهية وقد استخدمت عناصر الكائنات الحية في زخارف الخشب والجص والنحاس والنسيج والبلور والخزف ويغلب ان توضع هذه العناصر داخل اشكال ومناطق هندسية وتوزيعها على اساس التقابل والتدابر ومن المناظر التي تظهر كثيرا على التحف الاسلامي منها أشرطة الطيور او حيوانات من ذوات الأربع يتلوا بعضها بعضاً او حيوانان او طائران متدبران او متقابلان وبينهما زخرفة ترمز الى شجرة الخلد او شجرة الحياة التي كانت معروفه عند الاشوريين ثم انتقلت منهم الى الفرس او حيوان ينقض على حيوان اخر او طائر جارح ينقض على حيوان او طائر اخر او مناظر صيد فيها الصيادون والحيوانات والطيور او مناظر الحفلات الداخلية فيها الرقص والطرب او رسوم مجموعة من الطيور في تكوين زخرفي وقد شاع استعمال الاشكال الخرافية المركبة كالطيور ذات الوجوه الآدمية والفرس ذي الوجه الآدمي (البراق) كما انتج الفنانون المسلمون اواني معدنية على اشكال حيوانات وقد نقل الغربيون عن المسلمين هذه الاواني في العصور الوسطى حيث عرفت باسم (أكوامنين) وكانت على شكل حيوان او طائر او فارس وكانت القساوسة يستعملونها في غسل ايديهم في اثناء الصلاة او بعدها ويلاحظ ان الكثير من رسوم هذه الحيوانات والطيور كانت تنتهي اطرافها بأشكال هندسية او نباتية كما كانت تزخرف أجسامها بمثل هذه الزخارف او بالكتابات امعاناً في تحويلها الى عناصر زخرفية وابعاد لها عن الشكل الطبيعي وقد عرف المسلمون رسوم انواع مختلفة من الحيوانات كالفيل، والاسد، والفهد، والغزال، والأرنب وانواع الطيور المختلفة [26] .

كان المسلمون في العصور الاسلامية المختلفة يزخرفون جدران قصورهم بالرسوم الآدمية وايضا الحيوانية وهي منفذه بأسلوب الفريسكوا وهو الرسم بالألوان المائية على الجص ويراعى ان يوضع الطلاء قبل ان يتم جفاف الجص حيث يتشرب الجص باللون اثناء

جفافه ومن اقدم هذه الرسوم في العصر الاموي بقصيرا عمرا ببادية الأردن والذي ينسب الى الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) يتضح التأثيرات الساسانية والسورية المسيحية [27] .

يتضح مما سبق ذكره ان الزخارف الحيوانية ورثت من الفنون التي سبقت الفن الاسلامي وخاصة الفن الساساني الذي يتسم بالقوة والحيوية، فان استخدام الزخارف الحيوانية كان لا يقتصر على المخطوطات فقط بل شمل جدران القصور والأبنية . (ينظر شكل 4) وهي صورة من مخطوط كليلة ودمنه فيها زخرفة نباتية مكونة من اوراق متداخله مع بعضها باللون الاخضر والذهبي مع ورود صغيرة باللون الاحمر الفاتح مع وجود حيوانان متقابلان وهي مثال على الزخرفة الحيوانية .

الملاحق :

شكل (1)

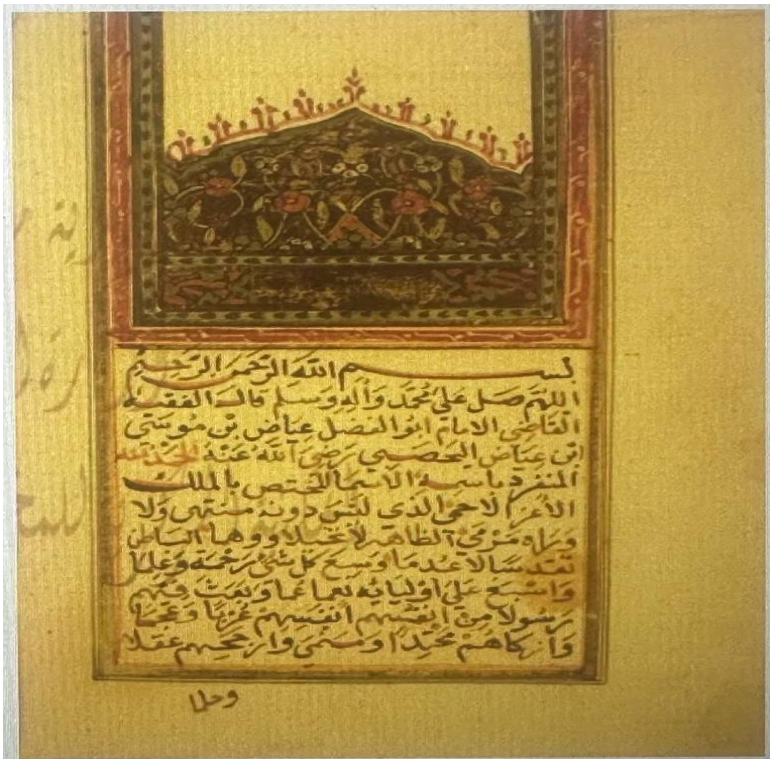

شكل (2)

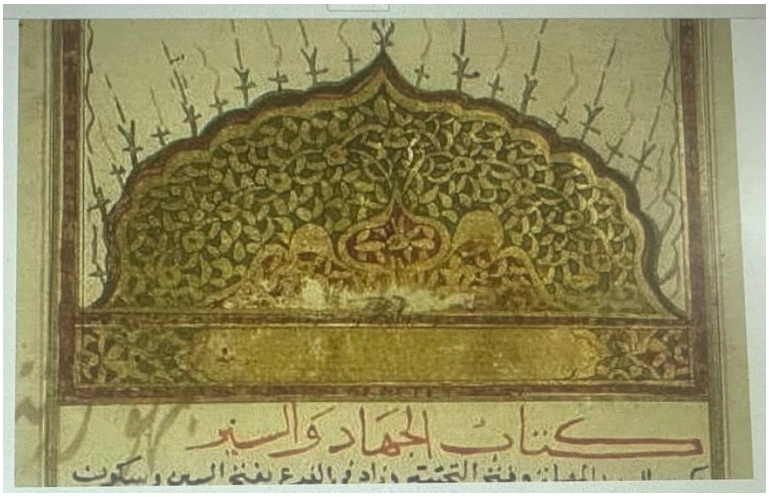

شكل (3)

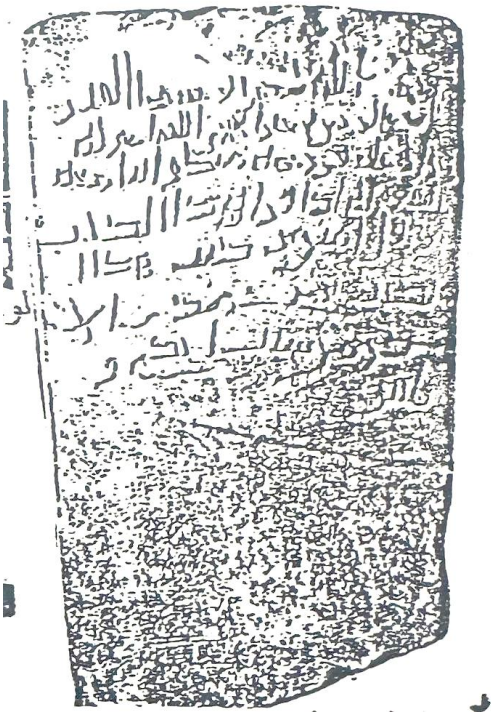

شكل (4)

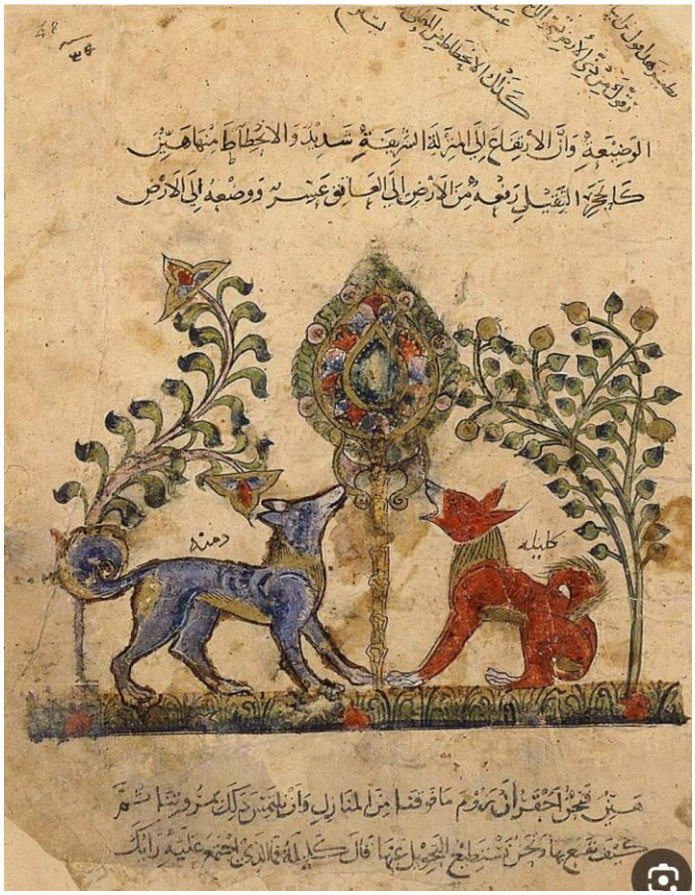

الهوامش:

1 - ابن ابي داود، ابو بكر عبدالله بن سلمان بن الأشعث الأزدية السجستاني(ت 316هـ)، كتاب المصاحف، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، القاهرة، 2002م، ج4، ص137؛ ايتنكهاوزن، ريتشارد، فن التصويرعند العرب ،ترجمة : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، مطبعة الأديب، العراق، ص167 .

2 - الأصمعي ، محمد عبد الجواد، تصوير وتجميل الكتب العربية في الاسلام ونوابغ المصورين والرسامين عند العرب في العصور الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ص78 .

3 - الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، مكتبة مصباح، الدار المصرية اللبنانية، ط2، القاهرة، 1989م، ص205 .

4 - فارس، بشر، سر الزخرفة الإسلامية، مؤسسة هنداوي، مصر، ص15 .

5 - ريد، هربرت، الفن والمجتمع، ترجمة : د فتح الباب عبد الحليم ، ص34 .

6 - الطاش، علي احمد، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص 18

7 - ياسين، عبد الناصر، الرمزية الدينية في الزخرفة الاسلامية – دراسة في ميتافيزيقا الفن الاسلامي، زهرة الشرق، القاهرة، ص238 .

8 - بنين، احمد شوقي، ومصطفى الطوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية، الرباط، ك3، 2005م، ص216 .

9 - بهنسي، عفيف، معاني النجوم في الرقش العربي، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في إستانبول، دار الفكر، دمشق، 1989م، ص 54.

10 - داخل، لؤي، فن الزخرفة الإسلامية، مجلة فكر وفن، ع 56، 1993م، ص70 .

11 - المخطوطات المزخرفة المحفوظة في وزارة الاوقاف المصرية، المكتبة المركزية والتي تحتوي على جداول 22،1822\2،1222.

12 - المخطوطات المزخرفة التي تحتوي على مستطيلات ومحفوظة في المكتبة المركزية في القاهرة، 1817، 4723 .

13 - المخطوطات المزخرفة التي تحتوي على دوائر ومحفوظة في المكتبة المركزية في القاهرة ،964، 742 .

14 - المخطوطات المزخرفة التي تحتوي على مثلثات والمحفوظة في المكتبة المركزية بالقاهرة ، 964، 3146 .

15 - نخبة من المؤلفين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية،ط2، مصر، ص20 .

16 - بنين، احمد شوقي ومصطفى الطوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص41 .

17 - بن حنبل، احمد بن محمد (242هـ)، مسند الامام احمد بن حنبل، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار الحديث،ط1،القاهرة، 1995م،ج3،ص432.

18 - وهي زخرفة نباتية أبتكرها الفنان المسلم واصبحت سمه من سمات الفن الاسلامي الرئيسية ينظر: خوشيد، ابراهيم زكي،واحمد الشنتاوي وأخرون، موجز دائرة المعارف الاسلامية، مركز الشارقة للأبداع الفكري،ط1،الامارات العربية المتحدة،1998م،ص23.

19 - الطايش، علي احمد، الفنون الزخرفية الاسلامية المبكرة في العصر الاموي والعباسي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2003م، 19 .

20 - هو جامع تأسس في ايران في القرن الرابع وكان على طراز الفن الاسلامي في سامرا ينظر: المجلس الاعلى للفن الإسلامي، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المكتبة الشاملة، ص598؛باشا،احمد حسن الزيات، مجلة الرسالة، المكتبة الشاملة،ص403.

21 - شافعي، فريد، الزخارف الكاسية البسيطة في الفن الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص50 .

22 - هو نوع من انواع الزجاج الذي صنع في مصر في العصر المملوكي وقد حفظت انواع منه في دور الاثار والتي تمتاز بجمال اشكالها وانسجام زخرفتها واتقان صنعها ينظر: السبكي، علي بن عبد الكافي (ت756ه)وولدة تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، تحقيق: احمد جمال الزمزمي ونور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الاسلامية واحياء التراث، ط1، جامعة ام القرى، 2004م،ج1، ص71 .

23 - حسين، محمود ابراهيم ، الزخرفة الاسلامية، الاكاديمية اللبنانية للكتاب، ط1، 1992م، ص 34 .

24 - حسن، زكي محمد، في الفنون الاسلامية، مطبعة الاعتماد، مصر، 1938م، ص 43 .

25 - الطايش، الفنون الزخرفية الإسلامية، ص 18 .

26 - الألفي، ابو صالح ، الفن الإسلامي أصوله – فلسفته- مدارسة ، دار المعارف، مصر، ص118 .

27 - الطايش، علي، الفنون الزخرفية ، ص 22 .

المصادر والمراجع :

1- ابن ابي داود، ابو بكر عبدالله بن سلمان بن الأشعث الأزدية السجستاني(ت 316ه)، كتاب المصاحف، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، القاهرة، 2002م، ج4.

2- الأصمعي، محمد عبد الجواد، تصوير وتجميل الكتب العربية في الاسلام ونوابغ المصورين والرسامين عند العرب في العصور الإسلامية، دار المعارف، القاهرة .

3- الألفي، ابو صالح، الفن الإسلامي أصوله – فلسفته- مدارسة، دار المعارف، مصر .

4- ايتنكهاوزن، ريتشارد، فن التصوير عند العرب ،ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، مطبعة الأديب، العراق .

5- بن حنبل، احمد بن محمد (242ه)، مسند الامام احمد بن حنبل، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار الحديث،ط1،القاهرة، 1995م،ج3 .

6- بنين، احمد شوقي، ومصطفى الطوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية، الرباط، ك3، 2005م .

7- بهنسي، عفيف، معاني النجوم في الرقش العربي، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في إستانبول، دار الفكر، دمشق، 1989م .

8- حسن، زكي محمد، في الفنون الاسلامية، مطبعة الاعتماد، مصر، 1938م .

9- حسين، محمود ابراهيم ، الزخرفة الاسلامية، الاكاديمية اللبنانية للكتاب، ط1، 1992م .

10- الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، مكتبة مصباح، الدار المصرية اللبنانية،ط2، القاهرة، 1989م

11- خوشيد، ابراهيم زكي،واحمد الشنتاوي وأخرون، موجز دائرة المعارف الاسلامية، مركز الشارقة للأبداع الفكري،ط1،الامارات العربية المتحدة،1998م .
12- داخل، لؤي، فن الزخرفة الإسلامية، مجلة فكر وفن، ع 56، 1993م .
13- ريد، هربرت، الفن والمجتمع، ترجمة : د فتح الباب عبد الحليم .
14- السبكي، علي بن عبد الكافي (ت756ه)وولدة تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، تحقيق: احمد جمال الزمزمي ونور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الاسلامية واحياء التراث، ط1، جامعة ام القرى، 2004م،ج1.
15- شافعي، فريد، الزخارف الكاسية البسيطة في الفن الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر .
16- الطايش، علي احمد، الفنون الزخرفية الاسلامية المبكرة في العصر الاموي والعباسي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2003م .
17- فارس، بشر، سر الزخرفة الإسلامية، مؤسسة هنداوي، مصر .
18- المجلس الاعلى للفن الإسلامي، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المكتبة الشاملة، ص598؛باشا،احمد حسن الزيات، مجلة الرسالة، المكتبة الشاملة .
19- المخطوطات المزخرفة التي تحتوي على دوائر ومحفوظة في المكتبة المركزية في القاهرة ،964، 742 .
20- المخطوطات المزخرفة التي تحتوي على مثلثات والمحفوظة في المكتبة المركزية بالقاهرة ، 964، 3146 .
21- المخطوطات المزخرفة التي تحتوي على مستطيلات ومحفوظة في المكتبة المركزية في القاهرة، 1817، 4723 .
22- المخطوطات المزخرفة المحفوظة في وزارة الاوقاف المصرية، المكتبة المركزية والتي تحتوي على جداول 1222،2\1822،22.
23- نخبة من المؤلفين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية،ط2، مصر، ص20
24- ياسين، عبد الناصر، الرمزية الدينية في الزخرفة الاسلامية – دراسة في ميتافيزيقا الفن الاسلامي، زهرة الشرق، القاهرة .

The art of decoration in Islamic manuscripts: an applied study on some historical manuscripts

Assist prof Dr. Ahmed Karim Mohamed Habib

College of Islamic Sciences - University of Diyala

Keywords: manuscripts. Decoration. History

Summary:

Decoration is an essential element in Islamic manuscripts in general and historical manuscripts in particular. Scholars and scribes in ancient times were interested in decorating manuscripts and employed it to add beauty and splendor to the Qur'an and manuscripts. The first time it was used in the Qur'an, the Qur'an was decorated with very beautiful decoration. It took various forms and expressed the religious and cultural values of Muslims. It also contributed to These decorations demonstrated the skill of the Arab calligrapher at that time, as they demonstrated the aesthetics of the manuscript. They were of different types and shapes, each of which was used in a specific place and in a specific manuscript. They were of different types, such as geometric decorations. This type relied on regular geometric shapes such as squares, triangles, and star shapes, and these shapes were repeated in the formation of shapes -The decorative one An example of this is the Holy Qur'an preserved in the Museum of Islamic Art in Cairo. We observed the elaborate geometric decoration on various pages of the Qur'an, and the floral decorations. This type of decoration is derived from the leaves of trees and plants and is designed in

various realistic shapes. An example of this is the floral decorations found on a book manuscript. Al-Aghani by Abu Faraj Al-Isfahani, which is preserved in the Egyptian House of Books. This manuscript is full of colorful plant decorations that give it a unique beauty, and animal decorations that depict different animals and are specifically used in Islamic manuscripts and written decorations. The Muslim artist excelled in decorating the Qur'ans and manuscripts. All of these decorations have shown us The ingenuity of scholars and calligraphers in decorating the pages of the Qur'an and Islamic manuscripts.